

# مهمات التجربة الأدبية

بقلم عزيز السيد جهم

بدلاً للمنظومات العلمية والفكرية ، وتعمل الذات عن الجماعة . وهناك ( التجربة المنقولة ) وهي تجربة خطيرة جدا لا تحمل من التجربة سوى الاسم . ومبعت الخطورة فيها أن حاملها من أجل أن يدفع مهمة النقل المتبلد عنه ، يسعى إلى تسلكات متطرفة ضاجة حفاظا منه على وجوده المتخلخل من الداخل بموازات مفتصلة يستعمل فيها خارجيا موقفا تهرجيا . وهذه التجربة تنضح في المصمار الأدبي عند أولئك الذين تمشي نتائجهم بسيفان مجلوبة فسرا . ( ومن الممكن أن نقول أن هذبات هذه التجربة قد انتشرت بانتفاخ غير طبيعي مع موجة دخول آداب الوجودي ، وتأثر بها في البداية بعض المترجمين ) . وهذه التجربة المستوردة تستطيع أن تفعل فعلها ابان مرحلة الركود المربع الذي يتحول فيه الأدب إلى جسم هزيل مجهض بفعل عوامل سياسية معينة . أن الأدب العربي يتمركز حول جسر أساسي هو المساهمة في الدفع الحضاري لشعبنا ، في حين أن الصيحات ( العنمية ) و ( اللاملزمة ) والتي تعبر لنا من مواقع الفصح والورم والغش في مجتمعات التقنية الرأسمالية تشكل اعاقا ضارة فيما إذا استنسخت .

وإذ يبدو من مستلزمات تطوير الحركة الأدبية أبعاد هذه الأشباه (٢) عن تصدق التجربة الأدبية فاننا لا نغفل عن وجود نوع آخر من التجربة يقف وسطا بين السلب والإيجاب ، ويصلح أن يكون رصيذا جيدا إذا توافرت عوامل عديدة تعمل على شل الازدواجية فيه وامانة روح اللامبالاة وتقذبة الوعي الخالق . أن هذه ( التجربة السلبية ) تحمل صورا منعكسة عديدة تتلقاها بكل سلبية دون أي جهد أو فعالية تتدخل في الكشف والتنقية والاختيار . وهذه التجربة تتمثل أحيانا عند القراء أو الكتاب الذين عجزوا عن التوفيق بين اختياراتهم الأيديولوجية وبين دورهم العملي ، فظلوا مصبرا لتجارب عديدة وغنية ، لكنهم يؤدون صلاتهم الوحيدة : انتظار التلقيح من سواهم ، وتسمهرهم في الهامش حيث تنفخ المسؤولية . أن التجربة - أي تجربة - من حيث أنها معاملات مستمرة بين الإنسان والواقع لا تظل مرابطة عند حدود هذه العلاقة فحسب ، فالتجربة ، على اعتبار أنها المرود الذي يخلف العلاقات ، لا تظل محافظة على مثل هذا الشكل من الانجرار المتخلف ، بل هي تتطور من حالتها النسوية إلى حالة جديدة من الفعالية الإيجابية . لذلك فهي النتيجة المركبة للعمليات الصراعية ، التي تتطلع بعد ذلك إلى دورة أخرى تتحكم فيها نوعا ما باللائق الصراعية . وحيث أكدنا في البدء المضمون الاجتماعي للتجربة - من حيث أن الإنسان مخلوق اجتماعي تماما - فإن التجربة تحمل الشيتين : الشكل الاجتماعي ، والقدرة العملية . لذا فالتجربة الأدبية ليست تجربة بين القارئ والكتاب والأدوات . وحتى وإن كانت التجربة في حدود هذا اللحظ إنما يعني ذلك فقط سوء الطوية المسبق الذي يستهدف تقزيم الأدب ومسخ التجربة الواعية من قبيل دعاة هذا الفهم . أن الأدب الاجتماعي مسؤول - ولو لم يكن مسؤولا لما كتب إطلاقا - وأن اللغة

التجربة الأدبية تجريديا هي حوار الأدب المتواصل مع حقائقه ، ولكنها وفي النطاق العملي تيسر الاحصيلة التعامل بين الأدب وبين العالم الأدبي . وتكتسب هذه التجربة أساسا طابعا اجتماعيا ، فهي ليست تجربة شخصية أو امكانية فردية ممتازة . وتوضع التجربة بهذا الشكل الاجتماعي مئات من حقيقة كون الأدب مجموع علاقاته النظرية أو العملية في حقل الأدب والادباء . ولذلك فثمة عوامل تقوم بتشكيل تجربة الأدب دون أن تقتصر تلك العوامل على الذات فحسب . فهناك مثلا تجربة الأدب الواقعية ه تلك التجربة التي تكون الخلفية الحقيقية لكل خلق فني أو أدبي . وهذه التجربة الحياتية هي تجربة الأدب الإنسان الذي يرتبط وجوده الذاتي وحركته الذاتية بالوجود المجتمعي والحركة الاجتماعية ، وهذه التجربة مفروضة لا يد للإنسان في رفضها . وهناك التجربة الفكرية التي تعتمد على الوعي المتزايد وتلقي النشاطات الفكرية والأدبية باستمرار ، وهي تجربة الاختيار . واذ لا يمكن العزل بين المعاشة الاجتماعية والمعاشات الفكرية والأدبية ، تتداخل التجربتان بنأخ حميم ترفد فيه الواحدة الأخرى بعملية جدلية مخصاف تنفضح التقسيمات الأكاديمية البالغ بها بين الذات والمجتمع ، لأن الحركة الديالكتيكية - وهي حركة الحياة السرية - تنفي التحديدات الرخيصة والعصر الميكانيكي الذي استحوذ في عالم النقد على مسائل التقييم . فالذات حتى في أشد حالات تفردها تكتسب وضعا اجتماعيا وحالة لا ذاتية . وكذلك التجربة الأدبية ليست ملكا للأدب ، وهي - مهما كان جنوح الأدب للفردية - تهمد لتجربة ذات مضمون اجتماعي .

اذن ، ولكون التجربة الأدبية تحمل أبعادا أوسع من الأبعاد الذاتية ، فنحن مسؤولون من أجل تبني التجارب الأدبية الحية - دون الشرط المسخيف الذي يعطي حق الكلام عن التجربة للأدباء الكبار ! - وهذا التبني للتجارب الساخنة ينبغي أن يعترض على نويات من تجارب سطحية لا عمق لها . فهناك ( التجربة الهوائية ) وهي تجربة أولئك الذين يتحصنون وراء مطالعاتهم ليحججوا دخائلهم المثقوبة أو الفارغة . وهذه التجربة الهوائية قد تلجأ إلى استعمال خضير لطفوس الكلمات فيمنح أصحابها أحيانا للعبارة بعدا ضوئيا زائفا لم تلتفت له ابتداء أية موقفية معاشة ، في حين يتكشف لنا أن انتفاء أصلاته - مع ضوئيته الموهبة - صادر عن عطالة كلية ، كما رأينا غالبا في العديد من عطاءات بعض رواد مجلة ( شعر ) و ( حوار ) .

وهناك ( التجربة المرتكسة ) التي تتخذ بعدها الوحيد من منطلق مضاد للشرط الحضاري والتاريخي ، وهي تجربة منغلقة ومسورة باطار ذاتي ضيق . وهذه التجربة شخصية وعاطفية تشكل انقرافا خطيرا عن المسار الفكري والأدبي الموضوعي . وغالبا ما تكون أوليات هذه التجربة وعيا سطحيا يتلازم - بشكل مرتعش - مع الانتهاضات التطورية ، ولكنه يتصدق بفعل تواجيدات معينة - عامة أو خاصة - فيتوقف لينزل إلى هاوية الارتداد . وهذه التجربة مبالغة غالبا إلى تفسير ( العام ) ب ( الخاص ) و ( القاعدة ) ب ( الاستثناء ) و ( الواقعي ) ب ( الظن ) و ( الحقيقي ) ب ( الصدفة ) و ( الرياضي ) ب ( الاحتمال ) علاوة على أنها تتبنى الشك ( البيروني ) (١) منهاجا في التعليل ، وتضع مفاصها المهزوز

( ١ ) نسبة إلى « بيرون » امام الشك المطلق - ٢٧٥ ق ٢٠ -

الذي دعا إلى عدم الحكم على وجود الشيء أو عدم وجوده .

( ٢ ) آثرنا الاقتصار على هذه الأشكال الثلاثة لضيق المجال .

ان الاديب الذي يمتلك مرشداً نظرياً علمياً وموضوعياً هو وحده الذي لا يخفق في تكريس نفسه لخدمة الحركة التقدمية . واذ يعجز ( يوسف السباعي ) مثلاً أو ( توفيق الحكيم ) عن استيعاب شروط الولادة لانطلاقهما من أرضية الفكر البرجوازي آنثالي ، فإن ( نجيب محفوظ ) و ( عبد الملك نوري ) و ( يوسف ادريس ) يؤمنون فسي أغلب ما يكتبونه إلى طبيعة تجاربهم التي تنتظم حول قطب ( المجتمع - الثورة ) .

ثالثاً - ان تخطي الواقع الأدبي المتخلف يتم عبر التصعيد الإيجابي لمسائل الالتزام الثوري من حيث ان الالتزام اكتسب مضمونا جديداً فرضته طبيعة مواقفنا المسورة بالانغام العدائية . فبعد أن كان الالتزام شعاراً يتحمل شتى المناقشات السوفسطائية أملت علينا رياح القرن العشرين الالتزام كموقف وحيد يضمن لنا البقاء التاريخي والجغرافي والروحي بل وحتى الجسدي . لذا فإن الضرورة تقضي بابعاد كل التجارب الظلامية والرومانسية الشخصية والقيسية وتجارب ( اللامتحمي الاثوري ) بتقوية التجارب المشرقة التي تسهم في تشييط عمليات الخلق الثوري . بحيث يكون ذلك الأساس الذي تتشكل فوقه كافة البنى الأدبية دونما أي محاولة تصفية في فرض أسلوب معين وتعميمه . فبقدر ما تكون هناك صرامة في عدم النهان بخصوص الشعار الرئيسي ( الادب في المعركة ) تكون هناك ديمقراطية كاملة في حرية الاداء بأي أسلوب أدبي . إذ من الممكن جداً أن تتصافر فسي أرضنا الاساليب الواقعية والرمزية والسوريالية من أجل تبني مسألة الانسان العربي . وان أولئك الاكثر اقتساراً من الأفق الكفاحي للانسان العربي هم الذين يسمون هذه المرحلة ، ومن خلال نتاجاتهم تتأنس العطاءات الأدبية بعمقها الحقيقي . ان ما كتبه عبد الوهاب البياتي وممدوح عدوان والفريد سمعان وسعدي يوسف وحيمسند سعيد وحسب الشيخ جعفر ، مثلاً ، ليس الا بلورة للوعي العربي المتمرد والحس الاصيل بالحرية كضرورة وحياء ، ولذلك فهو مما يدخل في صميم التجربة الكبرى المكرسة من أجل الانسان العربي . وفي الجهة الاخرى ، وعلى ضفة ما ، تقف ( عاتكة الخزرجي ) مثلاً لتبت الله لواعج دنفها في قصيدة « بين يدي الله » ( ٣ ) وكأنها فطنت لتوها لعشقها هذا وتقرر : « وكيف تلاشت رؤى عالمي - فما من زمان وما من مكان » فانتفت ( نكسة حزيران ) لانتفاء الزمان ، وانتفت ( فلسطين ) و ( المقاومة ) لانتفاء المكان ! وابتفاء الزمان والمكان تحول الكون الى فراغ تسكنه عاتكة المتعبدة ...

( ٣ ) نشرت القصيدة في « المعرفة » السورية العدد ( ٦٩ )

تشرين الثاني ١٩٦٧ .

# الموت في الحياة

للشاعر

عبد الوهاب البياتي

صدر حديثاً

الثن ٢٥٠ ق.ل

دار الاداب - بيروت

التي يستعملها ليست مجرد ألفاظ بل هي أدوات عميقة المحتوى تحمل بعدها الاجتماعي والتاريخي . وان الملقى نفسه وجمهرة القراء يتفاسمون مع الاديب تجربته ضمن أطر اجتماعية . أي أن كل الاشياء تؤكد المحتوى الاجتماعي للعطاءات الادبية . وهذه العطاءات هي النوى التي ترسم من حولها مجالها التجريبي . وهي اذ تعكس درجة عافية الاديب فانها في الوقت نفسه تعكس الوضع العام من حيث انها تترجم شيئاً عصياً ما .

وإذا كان عطاء ( البيوت ) يعكس اختيار البيوت نفسه فإنه فسي الوقت نفسه يعكس انهيار القيم في عالم ( أوروبا العنكبوتية ) ، لان احتمالات تشخصن أي تجربة تشخصنا كلياً أمر غير وارد اطلاقاً في ضوء التحليلات العلمية . ومن هذا المنطلق تكون التجارب الادبية انعكاساً لتبلور في واجهته التحركات الابدولوجية والسياسية والاجتماعية والنفسية . وبذلك تتزود كل هاتيك التجارب بالنفس التاريخي ، فلا غرابسة أن تؤرخ ( التجربة - القصيدة ) أو ( التجربة - الرواية ) أو ( التجربة - المقالة ) برموز حضارية تختزن كل الاحداث الواقعية . فالتجربة الادبية هي منطقة التماس الحقيقي بين الاديب والتاريخ ، وهي جماعية كأننا ما كان محمولها ، ولانها هكذا فهي تحمل ارادة معينة تستهدف نشاطاً مثيراً . ولكن أية نظرة نقدية تستطيع ان تكشف سلبية التجارب الادبية في واقعنا لكونها تعيش ضموراً عجيماً ونقصاً تتحمل مسؤوليته أطراف كثيرة . فنحن نشهد مثلاً ثانوية دور الاديب التي قد لا يكون هو السبب في اختيارها على الاقل ، ونشهد الاديب القديم الذي نفذ سحره وأثر الصمت ، والاديب المعاصر الذي يعاني أفضع المحاصرات ورجس الادب الزائف الذي يتعزز على مهماز المساومة . نرى لوينات عديدة وأشكالاً عدة كلها مسؤولة تاريخياً في كونها لم تسهم في القيام بأية تعبئة ثورية ولم تعضد قفصتنا العربية عبر ما تدخره من طاقات ابداعية متوفرة . ولذلك فهي تؤرخ صيحة خافتة لا تتعدى الوميض الخافت والمتقطع في محراب الرهاد البشري . واحساساً منا بنفسه حقيقة التخلف الادبي - وهو طبعاً تخلف يعكس المرحلة - يجب تنمية الشروط التطورية والتأكيد على تجاوز عوامل النكوص . وهذا يتم بتكريس الادب كلياً للاسهام في معركة الخلاص وتشبيد المجتمع الاشتراكي الافضل . كيف يتم هذا التكريس ؟.. هذا ما سنسوف نتكلم عنه .

أولاً - التجربة الادبية تكون بانسة تماماً اذا لم اترتو باستمرار من التواصل والتعايش الواقعي بشتى أشكاله . وان أي انقطاع من قبل الاديب عن المجتمع والاحداث ، ومهما كانت ثقافة ماضي الاديب سوف يعرض التجربة الى جفاف يتزايد باستمرار حتى درجة السقوط . ان المعاشات الحارة هي الوسط الوحيد الكفيل بتجدد الطاقات وتصليب الاختيار واشاعة التلاحم . ان الشاعر الذي يتشاغل - حالياً - بنظم قصائد لا صوت فيها للعام ، للآخر ، لضرورة اختيار الموقف ، انما يخون الشعر . وان الاديب الذي لا يعترف شيئاً عن الجماهير سوى انها ( الجمع المجرد ) يخون الادب . واذ تبدو كلمة ( الخيانة ) هنا قاسية حادة فانما يبرر ذلك طبيعة المرحلة التي نجتازها . فامام ضخامة التحديات المعادية لشعبنا العربي ، وفاشية الشركة ( الصهيون امبريالية ) تكون كلمة الخيانة الوصف الوحيد الذي يناسب الاديب الذي يدبر وجهه عن شعبه .

ثانياً - التجربة الادبية عند أي اديب تحتاج الى انتظام من أجل ان لا تكون عاجزة . ومتى كانت التجربة الفردية - واقصد هنا بها مجموع تجارب الاديب - مرتبكة وغير موحدة ، فقدت قدراتها على التحويل والفعل . بل لا بد أن تنتظم جميع التجارب الفردية ضمن منظومة واحدة هي التجربة المتناسكة . وحيث ان توفير التماسك بهذا الشكل لا يتم لوجود تعارضات بين تجارب الاديب الفرد نفسها في أسلوب أو في الفاية أو في الحجم أو في التغيرات الزمانية أو المكانية ، فان تقليد هذه المهمة لا يتم الا بفعل ( الابدولوجية ) .

مع النقاد والرجعيين مهما كانت أدواتهم ومدخراتهم . ان الشرط الوحيد لاي عملية انتقاد هو المسؤولية . واذ تتحول المسؤولية من عبء ثقيل الى سلوك وأخلاقية حثيثة يستطيع الناقد أن ينتشل نفسه وينقل الى موقع المساهمة البناءة .

ان الناقد يستطيع أن يصنع أشياء كثيرة بين الصلابة والرونة . فهو بقدر ما ينتهج موقفاً فكرياً صلباً لا يتشوه بالمهادنة والتوفيقية ، يكون مرناً جداً في توفير المؤازاة بين الأجنحة والخطوط المتعارضة وسليمة والمنفذة غاية .

خامساً - ان تعثر التجارب الأدبية وانسحابها وراء السيارات السياسية المتعطشة للتناقض الحاد قد أوجد الأدب في حالة غير صحية ، حالة من التمزق والتبعثر المفتي . ولذلك فما صارت إليه التجارب الأدبية الكبرى انما هو شلل في الفعلية . وبالتالي انقطع التكنيك الأدبي عن الاستراتيجية الأساسية وظلت النشاطات الأدبية دائخة في دوائر محدودة عسيجة بأطر سميكة يشرف على صنعها سياسة أنفعاليون . ان من المهام الحثائية أن تتجاوز الامكانيات الأدبية وضعها السابق وتتخطى العلاقات الفئوية والسياسية لتحقق لقاءها الضروري . وبذلك تستطيع هي نفسها ومن خلال هذا التكريس أن تفرض على الوضع العام للقوى السياسية علاقات مضيئة . كيف تقفز الامكانيات الأدبية من وراء التعويبات السياسية المحلية التي الامام ؟ هذا ما يحتاج الى شرح منفصل يتناول بالضرورة الرابطة الأدبية وكيفية تشكيلها وصفة ذلك كله بالجو السياسي السائد ومدى ايجابية هذه الرابطة وقابليتها ودرجة مناعتها .

المهم ان أحداث حزيران ١٩٦٧ تتطلب من الأدب العربي أن ينتزع نفسه ثورياً من حدود مرواحته السابقة ليمنح الانسان العربي سلاحاً هاماً . أوليس هذا ما يجب أن يكرس كل شيء عن أجله ؟!

عزيز السيد جاسم

العراق

برى الأيق للنبى ( محمد ) ان يبكي دما في حضرة ( الله ) لان عاتكة أتورعة جدا تفاعلت في وقفها تلك عن نكبة العرب وامانة الديانات المقدسة ؟ (٤)

رابعا - وحيث ان التجربة المكرسة للعمل الخلاق هي تجربة غنية لانها تتطور من خلال العمل ، فهي اذن كتسب قدرتها التطورية من النقد الذاتي المستمر . ان تطوير النقد المسؤول - لا النقد الليبرالي - هو وحده الذي يكشف الجوانب السلبية والمرتعشة والفائقة في تجربتنا الأدبية . ولكن نظرة بسيطة لواقفنا النقدي تكشف عن طريقتين في النقد : الطريق الأكاديمي وهو طريق القلوب في الاحترامات الشخصية والشكليات بحيث تضيع المسائل المهمة والمختلف عليها وراء سيل من عبارات ( الحضرة الموقرة ) ، اذا سمحت معاليكم ، وهو الفني عن التعريف : العالم والأديب والشاعر والمهري في الحساب والنسب ... الخ ) ، وهذا الطريق لا يمثل أكثر من كونه فقاعات تتسرب وراء ألقاب لامعة معينة لا تهتم جداراً ولا تبنى أخيراً !

وهناك الطريق الآخر والاكثر عداء للطريق الأكاديمي . فاذ يسعى النقد الأكاديمي من أجل انسجانات سطحية فان هذا يسمى من أجل تدمير كل عوامل الوحدة واللقاء . وهذا النقد الذي يتظاهر باحتضان الفكر التقدمي هو نقد غير هادف وغير مسؤول اطلاقاً . ومن المحتمل انه يمثل حالة شبكية سادية افترضتها تعقيدات خاصة . ان أصحاب هذا النقد الذين يمثلون على الدوام وضعاً عصائياً هائجاً يشتمون كل شيء تحت واجهة الاخلاص ، وان ذلك فهم يقفون جنباً الى جنب

(٤) سيدتي عاتكة ، اظن الله خجلاً من هذا الشيبب اللاهوتي . محمد جريح لان أمته جريحة بمدى الضائقة القتلية . وعندنا يكون محمد جريحاً فان الله يفلق الأبواب أمام العشاق . وانك لو كتبت لجراحنا لكت فعلان بين يدي الله ! وعذراً ، علماً سيدتي الكبيرة !

هذا الشهر

# الكِفاحُ المُسَاح

تأليف : دوغلاس هايد

ترجمة : سامي كمي

كتاب هام وضعه رجل يعتبر حجة في حروب العصابات اذ أمضى سبع عشرة سنة متنقلاً بين أوروبا وآسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية ، دارساً ومراقباً ومحاضراً ، ووقف على أبعاد نشاط العصابات الثورية في هذه البؤرات الملهبة من العالم المعاصر . ومن فصول الكتاب : الكفاح التقليدي - الكفاح المقامرة - حتمية التغيير - البناء الثوري - التحضير لمعركة الكفاح المسلح - جذور الثورة والتربة الثورية - أبعاد الكفاح المسلح في العالم المعاصر .

كتاب جديد يحتاجه العرب في كفاحهم المسلح العادل لتحرير أرضهم .